

- ٢ -

عداء.. واقتراءات لها تاريخ

لهذا كله . . جاءت محاضرة بابا الفاتيكان - بنديكتوس السادس عشر - فى جامعة «ريجنسبورج» - الألمانية - فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م - والتي فجرت الغضب الإسلامى - جاءت - هذه المحاضرة - فى سياق من الحقائق والوقائع - التاريخية . . والمعاصرة - يغفل عنها الكثيرون . . كما جاءت صادمة للمشاعر الإسلامية ؛ بسبب حديثها . . ولما حوته من الأكاذيب والمغالطات والجهالات ، التى لا يتصور صدورها من «أستاذ للفلسفة» يتولى منصب الحبر الأعظم لمحاضرة الكاثوليكية بالفاتيكان . . عندما يتحدث عن دين - كالإسلام - يتدين به مليار ونصف المليار من المسلمين . .

● لقد كان موضوع محاضرة البابا عن «علاقة العقل بالإيمان» فى المسيحية . . لكن لغريب - بل والعجيب والمريب - أن الرجل قد بدأ محاضرتة بالهجوم على لإسلام! . . بل ولقد استغرق هذا الهجوم على الإسلام ربع هذه المحاضرة!! - مائة سطر من أربعمائة سطر ، هى جملة سطور النص الكامل للمحاضرة -!!^(١) .

● وكان أخطر ما فى هذه المحاضرة ، ليس اقتباس البابا من الإمبراطور البيزنطى امانويل الثانى «[١٣٩١ - ١٤٢٥م] - كما حسب كثير من المعلقين - وإنما تعليقات البابا على الاقتباس! . .

لقد استشهد البابا بكلمات الإمبراطور البيزنطى - فى معرض ربط الجهاد الإسلامى بالحرب المقدسة المسيحية» . وأورد الكلمات التى قال فيها هذا الإمبراطور لأحد لمثقفين الفرس المسلمين :

(١) لقد اعتمدنا فى تحليل هذه المحاضرة ونقدها على النص الأصيل والكامل الذى نشرت ترجمته العربية صحيفة غير متهمة ، هى [وطنى] - المسيحية - انظر عدد ٢٤ - ٩ - ٢٠٠٦م .

«أرني ما الذى أتى به محمد من جديد؟». فهنا يستجدون أشياء شريرة وغير إنسانية، مثل أمره بنشر العقيدة التى دعا إليها بحد السيف».

ولقد وصف البابا الإمبراطور «مانويل الثانى» بالموسوعى! . . وأغفل ذكر رد المثقف الفارسى المسلم على هذا الإمبراطور! . . ثم مضى - معلقاً . . ومؤيداً - فقال:

«لا بد أن الإمبراطور كان يعرف أن السورة ٢ آية ٢٥٦ تنص على أنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. وهى إحدى سور العصور الأولى من تاريخ الإسلام، عندما كان محمد لا يزال مهدداً، وتعوزه القوة».

ولكن من الطبيعى كذلك - بالنسبة للإمبراطور - أن يكون قد عرف التعليمات «أوامر اللثام» بشأن الحرب المقدسة، والتى ذكرت لاحقاً ودونت فى القرآن».

● وفى إطار كلام البابا عن علاقة العقل بالإيمان - فى المسيحية والإسلام - قال:

«إن القول الفصل فى النقاش حول التحول العقائدى باستخدام العنف، هو أن عدم التصرف وفقاً للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب».

ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو، فمشيئته لا تتماشى مع أى من خصائصنا بما فيها العقلانية . . ولقد ذهب ابن حزم إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شيء يلزمه بكشف الحقيقة لنا.

ففيما يتعلق بإرادة الله، فإنه ينبغى علينا التعبد بشكل وثنى أعمى!!

كانت تلك هى أبرز نقاط المغالطات والافتراءات التى وردت عن الإسلام فى محاضرة بابا الفاتيكان . . والتى إن أثارت الغضب فى جماهير الأمة الإسلامية . . فإنها تستوجب النظر العلمى الموضوعى والهادئ والصبور فى الحوار مع «أستاذ الفلسفة»، عظيم الفاتيكان.

وإذا كانت مجلة «نيوزويك» - الأمريكية - قد استنكرت ما جاء بمحاضرة البابا عن الإسلام . . وجعلت عنوان غلافها - عدد ٢٦ - ٩ - ٢٠٠٦م - : «بندكتوس السادس عشر . . ماذا دهاه؟!». . . ثم وصفت طريقته - فى هذا التناول للإسلام - بأنها «طريقة

خرقاء»! . . . فإننا نختلف معها فى هذا التوصيف . . . فالأمر ليس مجرد «حماقة» . .
وإنما هو موقف له تاريخ طويل من العداء للإسلام! . .

إنه فصل جديد - ولن يكون الأخير - فى فصول العداء للإسلام، والافتراء على
مقدساته ورموزه وأمته وحضارته . . . يأتى بعد عام من أحداث الرسوم الدائريّة،
التي أساءت إلى رسول الإسلام ﷺ . . . وعن؟ . . من عظيم القاتيكان . . . وليس من
صحفى دائري نشر رسومه فى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥ م . .

● لقد تحدث البابا - بنديكتوس السادس عشر - فى هذه المحاضرة . . فأساء إلى إله
المسلمين ورب العالمين، عندما ادعى أن المشيئة الإلهية - فى الإيمان الإسلامى -
متسامية ومطلقة، لا تتقيد بالعقل ولا بالمنطق . . الأمر الذى يجعل الإيمان الإسلامى -
برأى البابا - إيماناً وثنياً أعمى!! . .

● وعندما أراد الحديث عن رسول الإسلام ﷺ اختار - واختيار المرء قطعة من
عقله - عبارات الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١ - ١٤٢٥ م] التي تفتري
على رسول الإسلام، فتزعم أنه لم يأت إلا بما هو شرير وسيئ ولا إنسانى . . ومن
ذلك أمره نشر دينه بالسيف!!

● وانطلاقاً من ذلك قارن البابا بين مسيحيته وبين الإسلام . . فادعى عقلانية
المسيحية ولا عقلانية الإسلام! . .

● كما اتهم الإسلام بالتأسيس للعنف والإرهاب - واتهم المسلمين بهما . .

● كما خلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب الدينية المقدسة - التي عرفتها
ومارسها الكنيسة الكاثوليكية الغربية . .



ورغم الدهشة والغضب اللذين يشعر بهما، لا المسلمون وحدهم، بل والمنصفون
من غير المسلمين، الذين عرفوا الإسلام . . بل وحتى المحايدون الذين يفترضون
ضرورة الأدب والكياسة فى الحديث عن الديانات . . رغم كل ذلك، فإن الموضوعية
يجب أن تكون المعيار الأول فى الرد على هذه الإساءات والمغالطات . .

إن الغضب لله ولرسوله ولدينه أمر مشروع . . بل ومطلوب . . لكن الإسلام يعلمنا أن يمين الغاضب لا تنعقد، وأن قضاء الغاضب لا يجوز؛ لأن الغضب قطعة من الجنون . . ومن ثم فإن العقلانية والموضوعية هي التي يجب أن تحكم الرد على هذه الإساءات . . وتحكم الحوار مع عظيم الفاتيكان .

● وفي البداية . . ولتبيد الاستغراب والاندهاش للذين أصابا الكثيرين من هذا الذى صنعه الحبر الأعظم للكاتوليكية، المتربع على عرش بابوية الفاتيكان . . أقول : إنه لا غرابة فى حدوث هذا الأمر الغريب ! . .

فهذا الرجل - الذى تولى البابوية فى إبريل ٢٠٠٥م، قد شغل - فى الفاتيكان - لأكثر من ربع قرن - من ١٩٨١م حتى ٢٠٠٥م - منصب المسئول الأول عن «النقاء العقائدى»، أى قيادة «الأصولية الأرثوذكسية الكاثوليكية»، التى تقسم العالم إلى مؤمنين كاثوليك حقيقيين . وإلى من يعتنقون «بعض عناصر الإيمان» . . أى أنه - بالمعنى الشائع فى الشرق - كان يتولى زعامة ومسئولية «التكفيريين» فى الإطار الكاثوليكي! . . الأمر الذى يرسم صورته وصورة مواقفه ضد الآخرين من غير الكاثوليك! . . ويرسم صورة مؤسسته فى هذه المرحلة من التاريخ . .

- وهو من هذا المنطلق «الأصولى - التكفيرى» عدو لدود للعلمانية، التى جعلت أكبر البلاد الكاثوليكية فى أوروبا - فرنسا - لا يذهب فيها إلى القداس سوى ٥٪ من السكان الكاثوليك! . . أى أن تعداد الكاثوليك الفرنسيين - بمقاييس هذا البابا - هم أقل من تعداد المسلمين الفرنسيين! . .

● وهذا المنصب الذى تولاه لأكثر من ربع قرن - قبل توليه البابوية - منصب «المفتش الأكبر» - رئيس مجمع عقيدة الإيمان - هو - فى الكنيسة الكاثوليكية - الامتداد المعاصر «لمحاكم التفتيش»، التى احترفت - فى العصور الوسطى الأوروبية - التفتيش عن العقائد، وممارسة الحرق والخنق والإغراق ضد العلماء والمفكرين والفلاسفة والمخالفين . . وضد المسلمين بعد إسقاط غرناطة واقتلاع الإسلام من الأندلس ١٤٩٢م . . والتى مارست إعدام هؤلاء المخالفين على «الخنازوق المقدس» لمدة ثلاثة قرون! . . والتى بلغ ضحاياها عدة ملايين . .

● بل إن اختيار هذا الرجل - واسمه قبل البابوية «جوزيف راتزينجر» - لاسمه البابوي - بنديكتوس السادس عشر - له - كما أسلفنا - معنى وثيق الصلة بهذا التوجه «الأصولي» - التكفيرى فى الموقف من الآخرين . . فالبابا بنديكتوس الرابع عشر [١٧٤٠ - ١٧٥٨م] - فى القرن الثامن عشر - كان عدوًّا للعقلانية ولمنهج الشك اللذين قامت عليهما حركة التنوير الأوروبية . . وقبل ذلك - فى القرن السادس - كان القديس البابا بنديكت الخامس [٤٨٠ - ٥٤٧م] هو مؤسس الأديرة والرهبانية التى ساعدت على بقاء الحضارة المسيحية فى أوروبا . . وهو واضع دستور الرهبانية المتبع حتى الآن فى الحضارة الغربية . .

فحتى الاسم - بنديكتوس - الذى اختاره هذا البابا - له توجهات أصولية - بالمعنى الغربى - وله دلالات . . وله تاريخ! . . (١).

● وفيما يتعلق بما جاء من الإساءات للإسلام - فى محاضراته بجامعة «ريجنسبورج» فى مدينة «رايتسبون» الألمانية - فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م - فإن هذا لم يكن - كما أسلفنا - بداية إساءاته إلى الإسلام . .

- فالرجل له تاريخ فى «الخوف والتخويف» من الإسلام - ذلك الذى أصبح اتجاهًا فى الغرب يسمونه «الإسلام فوبيا Islamophobia» . . فى حوار بينه وبين السياسى الإيطالى البارز «مارسيلو بير» - نشر فى كتاب عنوانه: «إبلا جنور: الغرب، النسيية، الإسلام والمسيحية»^(٢) يعلن هذا البابا أنه تسيطر عليه مخاوف ثلاثة:

أولها: الانقراض السكانى للأوروبيين المسيحيين - بسبب العلمنة التى أشاعت الأنانية وتفكك الأسرة، فانخفضت الخصوبة والمواليد - أحيانًا إلى أقل من ١٪ - «ذلك أن معدلات المواليد فى غالبية الدول الأوروبية تراجعت، الشئ الذى أثر على استمرار التوازن السكانى . . وجعل عدة شعوب أوروبية، خصوصًا الألمان والإيطاليين والإسبانيين، ربما لا تعود موجودة قبل نهاية القرن الحالى» أو فى - أحسن الأحوال والتكهنات - تصبح - هذه الشعوب - أقليات داخل دولها .

(١) نيوزويك - الأمريكية - عدد ٣ - ٥ - ٢٠٠٥م .

(٢) انظر: صورة غلاف هذا الكتاب فى ملحق الوثائق ص ١٢٢ .

وثانى هذه المخاوف البابوية هو : «أن المكان الذى تتركه الأجيال الأوروبية الجديدة شاغرا يملؤه المهاجرون المسلمون، خصوصاً من إفريقيا والعالم العربى . . الأمر الذى يفتح الباب لاحتمال أن تصبح أوروبا مستقبلاً جزءاً من دار الإسلام»!! . .

وثالث هذه المخاوف البابوية هو : «تراجع المسيحية من الفضاء الأوروبى . . فبسبب العلمانية» أصبحت مسيحية غالبية الأوروبيين تقتصر على انتماء الأسرة التقليدية للمسيحية» - أى مسيحيون بحكم النسب والتاريخ!! - الأمر الذى أدى - برأى البابا - إلى «افتقار أوروبا إلى القدرة والرغبة والشجاعة الأخلاقية فى القتال من أجل أى شىء، حتى حريتها»!!^(١)

هكذا ينظر البابا - بنديكتوس السادس عشر - إلى الإسلام، فيراه الوارث لمسيحيته وكنيسته . . الذى سيجعل أوروبا - وهى قلب العالم المسيحى - قبل نهاية هذا القرن - «جزءاً من دار الإسلام» - كما سبق وجعل الشرق - الذى كان قلب العالم المسيحى - قلباً لعالم الإسلام!! . .

ولقد انعكس هذا الخوف البابوى من الإسلام فى صور تعلن عداؤه لهذا الدين، وافتراءه عليه، وإساءته لعقائده ورموزه ومقدساته - حتى قبل هذه المحاضرة التى فجرت غضب المسلمين . . فالإسلام، الذى يبلغ القمة فى التنزيه للذات الإلهية عن التعدد والحلول والاتحاد والتجسيم والتشبيه . . والذروة فى التوحيد الخالص لهذه الذات الإلهية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] . . و «كل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك» .

هذا الإسلام، الذى تلخصه كلمة التوحيد، وتعبّر عن شعاره شهادة أن لا إله إلا الله . يقول عنه البابا : «إنه ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية، لا ينتمى إلى الوحى نفسه الذى تنتمى إليه اليهودية والمسيحية»!!^(٢) .

(١) انظر عرض هذا الكتاب فى الملحق الثقافى لصحيفة [الشرق الأوسط] - «متندى الكتب» عدد ٢٦ - ٤ - ٢٠٠٦ م . وانظر صورة الغلاف فى ملحق الوثائق صفحة ١٢٢ من هذا الكتاب .

(٢) هنرى تنك [لوموند] - الفرنسية - فى ١٨ - ٤ - ٢٠٠٦ م - والنقل عن : د . عمار الطالبي [البصائر] - الجزائرية - فى ١٠ - ١٧ يوليو ٢٠٠٦ م .

فالتوحيد - برأى البابا - موجود فى اليهودية، التى جعلت الله خاصاً بينى إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهتها! . . وموجود فى المسيحية - التى تقول بالتثليث . . وتعبد عيسى بن مريم - باعتباره الرب - وتقول عنه: إنه «الألف والياء، والبداية والنهاية»، القادر على كل شىء . . خالق كل شىء، وبه كان كل شىء . . وبدونه لم يكن شىء مما كان!! - [يوحنا: ١: ١١، ٣].

أما الإسلام، الذى يجعل الواحدة والأحادية فقط للذات الإلهية، وينزهه عن المثل والنند والشريك والشبيه والصاحبة والوالد والولد . . فهو - بنظر البابا بنديكتوس - ليس دين توحيد!! . .

● وإذا كان الكاردينال «جوزيف راتزينجر» قد اتخذ لنفسه اسماً بابوياً ينم عن التوجهات المحافظة والأصولية - بالمعنى المسيحى الغربى - فإن عداؤه هذا للإسلام . . وإعلانه السافر لهذا العدا . . واتخاذ هذا العدا صور الإساءة والتهجم . . هو الآخر له تاريخ . . بل وتاريخ طويل ملئ بثقافة الكراهية السوداء للإسلام والمسلمين . .

- ففى تراثه الكاثولىكى، يقول أبرز قديسى وفلاسفة الكاثوليكية - فى العصور الأوروبية الوسطى - «توما الأكوينى» [١٢٢٥ - ١٢٧٤م] عن رسول الإسلام ﷺ:

«لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية . . وحرف جميع الأدلة الواردة فى التوراة والأنجيل من خلال الأساطير والخرافات التى كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسائله إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون فى البادية!»^(١).

- وفى التراث الفنى والأدبى الكاثولىكى الأوروبى - تراث بابا الفاتيكان - وضع «دانتي» [١٢٩٥ - ١٣٢١م] - صاحب «الكوميديا الإلهية» - رسول الإسلام ﷺ وعلى بن أبى طالب عليه السلام «فى الحفرة التاسعة، فى ثامن حلقة من حلقات جهنم؛ لأنهم - بنظر دانتي - من أهل الشجار والتناق، الذين تقطعت أجسادهم فى سمير الكوميديا الإلهية!»^(٢).

(١) هوبرت هيركوفر، جينر نوت روتر [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص ٣٢، ٣٣ . ترجمة: ثابت عيد - طبعة القاهرة - نهضة مصر ١٩٩٩م.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٤.

- وفى تراث البابا - الذى يتهم الإسلام بأنه ليس دين توحيد - تزعم «ملحمة رولاند»
- الشعبية - التى نظمت حوالى ١٣٠٠ م - أن المسلمين يعبدون ثالوث :

١ - أبولين - Apollin

٢ - تيرفاجانت - Tervagant

٣ - ومحمد - Mohamed^(١)

● وبشهادات علماء الغرب ، الذين قارنوا بين حقيقة الإسلام وبين الصورة البائسة والكريهة والشوهاء التى صنعتها المسيحية الغربية لهذا الإسلام . . فإن الخيال الغربى المسيحى المريض قد أطلق لنفسه العنان فى تشويه صورة الإسلام - ليشحن العامة والغوغاء فى الحروب الصليبية التى شنتها الكنيسة الغربية لإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامى - . .

يشهد على هذه الحقيقة المستشرق الفرنسى «مكسيم رودنسون» [١٩١٥ - ٢٠٠٤ م] فيقول :

«لقد حدث أن الكتاب اللاتين ، الذين أخذوا بين ١٠٠٠ م و ١١٤٠ م على عاتقهم إشباع حاجة الإنسان العامى ، يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد ، دون أى اعتبار للدقة ، فأطلقوا العنان «لجهل الخيال المنتصر» - كما جاء فى كلمات «ر . وساوثرن» - فكان محمد (فى عرفهم) : ساحراً ، هدم الكنيسة فى إفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة ، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية . . وكان محمد (فى عرف تلك الملاحم) - هو صنمهم الرئيسى ، وكان معظم الشعراء الجواله يعتبرونه كبير آلهة السراسنة - [البدو] - وكانت تمائيله (حسب أقوالهم) تصنع من مواد غنية ، وذات أحجام هائلة!»^(٢) .

وبشهادة المستشرق الإيطالى «فرانشسكو جابريلي» :

(١) المرجع السابق : ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) مكسيم رودنسون [الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية] بحث منشور بكتاب [تراث الإسلام] - بإشراف «شاخت» و «بوزورت» القسم الأول ص ٢٧ ، ٢٨ . ترجمة : د . محمد زهير السهورى . مراجعة : د . شاكر مصطفى . طبعة الكويت ١٩٧٨ م . وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤ ، ص ٦٤ .

«فلقد كانت العصور الوسطى الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمزقاً شيطانيًا في صدر الكنيسة المسيحية، وانشقاقًا مشنومًا قام به شعب بربرى»^(١).

وبشهادة المفكر الألماني «هربرت هيركومر» - في دراسته عن [صور الإسلام في الأدب الوسيط] -:

«فإن الأوروبيين ادّعوا أن رسول الإسلام كان كاردينالاً كاثوليكيًا، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقامًا من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية - في القرون الوسطى - محمدًا المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية»^(٢).

وبشهادة المستشرقة الألمانية دكتورة «سيجيريد هونكة»:

«فلقد استقر في أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراء الأحقق للظالم للعرب، الذي يصممهم جهلاً وعدوانًا بأنهم «رعاة الماعز والأغنام، الأجلاف، لابسو الخرق المهلهلة . . وعبداء الشيطان، ومحضرو أرواح الموتى، والسحرة، وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود، والذين حذقوا هذا الفن، واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين . . وقد تربع على عرشهم الذهبي «ما هو مد». «مخميد» - وقد ركعت تحت أقدامه قرايين بشرية يذبحها أتباعه قربانًا وزلقى إليه»!

«فهم الكفرة الفجرة، الذين لا يدينون بالمسيح أو الله؛ لأنهم لم يعبدوه بعد . . فهم ليسوا سوى ديدان حقيرة . . وسفلة أوغاد . . أعداء الله . . وأعداء المسيح . . مستباحو قبر المسيح»! . .

«وحسب وصف «جى . توينبى» [١٨٨٩ - ١٩٧٥ م]: «فهم غير متحضرين . . وخلق غريب مستبعد من العالم الهليني، أو المتطفلين على الحضارة الهلينية الإغريقية . . أولئك المحمدون البدائيون . . وأقصى القول فيهم: إنهم تقليد بربرى جاهل زائف لديانة السريان الغربية عنهم، وهم - لبدائيتهم وقصورهم - لا يسعون إلى اعتناق النصرانية»^(٣).

(١) [الإسلام في عالم البحر المتوسط] - المصدر السابق - ص ١٠٤، ١٠٥ .

(٢) [صورة الإسلام في التراث الغربي] ص ٢٣، ٢٤ .

(٣) سيجيريد هونكة [الله ليس كذلك] ص ٨، ١١، ١٩، ٢٣ . ترجمة: د. غريب محمد غريب . طبعة القاهرة ١٩٩٥ م.

«ولقد صورت الكنيسة الأوروبية رسول الإسلام ساحراً كبيراً. . وصورت «قرطبة» - في الأندلس - وطن عباد الشيطان، المتوسلين بالموتى، الذين قدموا للمحمد الصنم الذهبي الذي كانت تحرسه عصبة من الشياطين، تضحية بشرية!! «فبلاد الإسلام هي عالم الخرافات والأساطير، عبدة الشيطان، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان. . بلاد الأضاحي البشرية من أجل صنم ذهبي، تسهر على سلامته عصبة من الشياطين، اسمه محمد!!»^(١).

«ولقد نظم شاعر الكنيسة القسيس «كونراد» ١٣٠٠م - في ريجنز بوج - «ملحمة رولاند». . التي وصف فيها المسلمين بأنهم «الشعب الذي لا يروى تعطشه لسفك الدماء، والذي لعنه رب السماء. . فهم كفرة وكلاب. . وخنازير فجرة. . وهم عبدة الأصنام التي لا حول لها ولا قوة. . الذين لا يستحقون إلا أن يقتلوا وتطرح رمهم في الخلاء، فهم إلى جهنم بلا مرء»!

«وفي هذه الملحمة الشعبية يخاطب القس «كونراد» الشعب المسلم، فيقول: «إن مخمت - [محمد] - قد أرسلني إليك لأطيح رأسك عن كتفيك وأطرح للجوارح جثتك، وأمتشق برمحي هامتك. ولتعلم أن القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمدته الكنيسة «ليس له إلا الموت شتقاً، أو ضرباً، أو حرقاً». إن أولئك جميعاً دون استثناء حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش بهم روحاً وجسداً، وكتب عليهم الخلود في جهنم أبداً!!»^(٢).

أما البابا الذهبي «أوربان الثاني» [١٠٨٨ - ١٠٩٩م] - الذي أشعل نيران الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين - فهو الذي خطب في فرسان الإقطاع الأوروبيين يحثهم على الحرب المقدسة ضد المسلمين، فقال: «أى خزى يجللنا وأى عار، لو أن هذا الجنس من الكفار، الذي لا يليق به إلا كل احتقار، والذي سقط في هاوية التعرى عن كرامة الإنسان، جاعلاً من نفسه عبداً للشيطان، قد قُدر له الانتصار على شعب الله المختار!!»^(٣).

(١) سيجريد هونكة [العقيدة والمعرفة] ص ١٦١، ١٦٢، ٩٩. ترجمة: عمر لطفى العالم. طبعة دمشق ١٩٨٧م.

(٢) [الله ليس كذلك] ص ٤٤.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٣.

نعم .. هذه هي صورة الإسلام .. ورسوله ﷺ .. وصورة المسلمين في تراث أوروبا الكاثوليكية .. والتي نافستها فيه أوروبا البروتستانتية، تلك التي تحدث بلسانها كبيرها «مارتن لوثر» [١٤٨٣ - ١٥٤٦م] عن القرآن الكريم فقال: «إنه كتاب بغيض وظلم وملعون، وملئء بالكاذب والخرافات والفظائع! .. وإن إزعاج محمد، والإضرار بالمسلمين يجب أن تكون المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه .. وإن على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضا ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتضاعف جساتهم ويسالطهم في الحرب ضد الأتراك المسلمين، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم في هذه الحروب»!! ..

أما صورة رسول الله ﷺ الرحمة المهداة .. والنور والبشير للعالمين .. فإنها - عند رأس البروتستانتية - وبألفاظه - صورة «خادم العاهرات وصائد المومسات»!!^(١) .

وإذا كان المرء يعجب كل العجب من أن يبلغ «الخيال المظلم والمريض» بالكنيسة الأوروبية - بابوائها .. وقساوستها .. وشعرائها .. وعوامها - هذا المستوى الغريب والعجيب والمريب في الافتراء على الإسلام والمسلمين .. فإن هذا العجب يتزايد عندما يرى هذا التراث من ثقافة الكراهية السوداء، لا يزال باقياً .. وفاعلاً .. دون نقد أو مراجعة .. بل يراه فاعلاً وموجهاً لبابا الفاتيكان - أستاذ الفلسفة - بنديكتوس السادس عشر - في القرن الواحد والعشرين!! ..

ويا ليت الأمر قد وقف عند هذا الباب - ذى التوجهات المحافظة والأصولية - بالمعنى الغربى - وإنما الأدهى والأمر أننا أمام تراث من العداء للإسلام والافتراء على رموزه ومقدساته، يحرك هذه المؤسسة الكبرى التي يتربع على عرشها هذا البابا ..

فهذه الكنيسة هي التي هيجت أوروبا، وأعلنت وقادت أولى الحروب العالمية على الإسلام - الحروب الصليبية - التي دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١م] ..

(١) [صورة الإسلام في التراث الغربى] ص ٢١ .

● وهى التى زكّت وصممت صمت الرضا - بل وشاركت بالتنصير - فى الغزوات الأوروبية الحديثة لاستعمار العالم الإسلامى على امتداد القرون الخمسة الممتدة من إسقاط غرناطة والأندلس ١٤٩٢م وحتى هذه اللحظات! . .

● وهى التى أرسلت «كريستوفر كولمبس» [١٤٥١ - ١٥٠٦م] ليجمع الذهب - بعد إيادة سكان الأمريكتين - لإعداد حملة صليبية جديدة ضد عالم الإسلام، لإعادة اغتصاب القدس وفلسطين!! . . ويومها كتب «كولمبس» إلى البابا «إسكندر السادس» [١٤٩٢ - ١٥٠٣م] فقال:

«لقد اضطلعت بهذه المهمة - [الرحلات إلى أرض الذهب فى أمريكا] - لتتفق ما سوف نكسبه منها فى رد الديار المقدسة . وبعد أن ذهبت إلى هناك، ورأيت الأرض كتبت إلى الملك «فرديناند» [١٤٧٩ - ١٥١٦م] والملكة «إيزابيلا» [١٤٧٤ - ١٥٠٤م]: إنه منذ ذلك اليوم، وعلى مدار سبع سنوات، سوف أحتاج إلى خمسين ألفاً من الجنود المشاة، وخمسة آلاف فارس لفتح الديار المقدسة»!!^(١).

● وهى التى أرسلت «فاسكو دى جاما» [١٤٦٩ - ١٥٢٤م] ليلتف حول العالم الإسلامى . . تمهيداً لضرب قلب العالم الإسلامى ١٤٩٧م . .

● وهى التى أرسلت «ماجلان» [١٤٨٠ - ١٥٢١م] ليحارب المسلمين فى الفيليبين ١٥٢١م . . ولتنصير الفيليبين - التى كانت مسلمة . . واسم عاصمتها «أمان الله»! . .

● وهى التى أعلن مطرانها فى باريس - بحضرة الملك الفرنسى «شارل العاشر» [١٨٢٤ - ١٨٣٠م] عند احتلال الجزائر ١٨٣٠م: «إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصره عظيمة على الملة الإسلامية، وما زالت كذلك»!!^(٢) . .

كما أعلن كرادلتها وقساوستها - وهم يحتفلون ١٩٣٠م بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر:

«إن عهد الهلال فى الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى

(١) انظر كتابنا [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] ص ٢١-٢٥ . طبعة القاهرة ٢٠٠٥م.

(٢) رفاعة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] ج ٢ ص ٢١٩ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة . طبعة بيروت ١٩٧٣م.

الأبد. . وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل!! . . وإن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار»!!^(١).

● وهي التى عهد جنرالها «كليب» [١٧٥٣ - ١٨٠٠ م] - إبان الحملة الفرنسية على مصر - إلى المعلم «يعقوب حنا» [١٧٤٥ - ١٨٠١ م]: «أن يفعل بالمسلمين ما يشاء. . حتى تناولت النصارى على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم. . وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»!!^(٢).

● وهى المؤسسة الكنسية التى يقود كرادلتها - فى واقعنا المعاصر - وليس فقط البابا بنديكتوس السادس عشر - حرب التخويف من الإسلام. . فيقول الكاردينال «بول بويار» - مساعد بابا الفاتيكان يوحنا بولص الثانى. . وممثل المجلس الفاتيكانى للثقافة:

«إن التحدى الذى يشكله الإسلام يكمن فى أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتصرف، فى حين أن المسيحيين فى أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة. . إن الإسلام يمثل تحدياً لأوروبا وللغرب عموماً. . وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيراً ضليعاً لكى يلاحظ تفاوتاً متزايداً بين معدلات النمو السكانى فى أنحاء معينة من العالم، وفى البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكانى بشكل تدريجى، بينما يحدث العكس فى البلدان الإسلامية.

وفى مهد المسيح، يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم مبرمج بشكل ما»^(٣).

أما الكاردينال «المونسنيور جوزيبى برناردينى» فإنه يقول - فى حضرة البابا يوحنا بولص الثانى -:

«إن العالم الإسلامى سبق أن بدأ ييسط سيطرته بفضل دولارات النفط. . وهو يبنى المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين فى الدول المسيحية، بما

(١) انظر كتابنا: [الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ] ص ٣٥، ٣٦. طبعة القاهرة ٢٠٠٦ م.

(٢) الجبرتي: [عجائب الآثار فى التراجم والأخبار] ج ٥ ص ١٣٦. طبعة القاهرة ١٩٦٥ م.

(٣) صحيفة [الشرق الأوسط] فى ١ - ١٠ - ١٩٩٩ م - وهى تنقل عن [الفيجارو] - الفرنسية.

فى ذلك روما عاصمة المسيحية . فكيف لنا ألا نرى فى ذلك برنامجاً للتوسع ،
وفتحاً جديداً؟^(١) .

إذن . . فنحن لسنا بإزاء عداء فردى لبابا جديد ، يمثل تيار «الأصولية الكاثوليكية»
أو تراث محاكم التفتيش . . ومواقف الصليبية القديمة من الإسلام والمسلمين . . وإنما -
مع ذلك ، وفوق ذلك - أمام تيار قائد فى مؤسسة كنسية ، هى كبرى مؤسسات المسيحية
الغربية . . تحمل العداء ذاته للإسلام . . وتروج للتخويف منه ، باعتباره يفتح أوروبا
فتحاً إسلامياً جديداً! . . ويهدد بتحويل أوروبا إلى جزء من «دار الإسلام» فى هذا
القرن الذى نعيش فيه! . .

أما عن محاضرة البابا بنديكتوس السادس عشر - التى مثلت أحدث فصول
الإساءات للإسلام - ولن تكون آخر هذه الفصول - فلقد تناول الرجل فيها أربع نقاط :

١ - الافتراء على رب العالمين وإله المسلمين . . وذلك فى معرض حديثه عن علاقة
الإيمان بالعقل . . إذ ادعى أن الإيمان المسيحى عقلانى . . بينما المشيئة الإلهية لإله
المسلمين متسامية لا علاقة لها بالعقل ولا بالمنطق!! الأمر الذى يجعل الإيمان
الإسلامى بإله المسلمين إيماناً «وثنياً أعمى»!!

٢ - والافتراء على رسول الإسلام محمد ﷺ وذلك عندما استشهد بعبارة
الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١ - ١٤٢٥م] التى زعم فيها أن محمداً لم
يأت إلّا بما هو سبى وشرب ولا إنسانى ، ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!

٣ - وخلطه بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب المقدسة - التى عرفتها ومارستها
النصرانية الغربية لعدة قرون . . ومن ثم ادعاؤه أن الدين الإسلامى والإيمان به إنما
يؤسس لممارسة العنف والإرهاب ضد الآخرين!

٤ - والافتراء على القرآن الكريم ، ووصف آياته بأنها «تعليمات أوامر اللثام التى
أثبتت فى القرآن»!! .

(١) صحيفة [الشرق الأوسط] فى ٣٠ - ١٠ - ١٩٩٩م .

ولما كنا قد سبق وكتبنا الكتب والدراسات فى الرد على جميع هذه الافتراءات والشبهات^(١) . . فإننا - مراعاة للمقام . . وعدم التكرار - سنقدم هنا نقاطاً موجزة تدحض هذه الافتراءات . .



(١) انظر كتبنا: [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و [الإسلام والآخر] طبعة القاهرة ٢٠٠١م. و [الغرب والإسلام: أين الخطأ وأين الصواب؟] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و [شبهات حول الإسلام] طبعة القاهرة ٢٠٠٢م. و [شبهات حول القرآن الكريم] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م. و [الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ] طبعة القاهرة ٢٠٠٦م. و [الإسلام وتحديات العصر] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و [الإسلام والحرب الدينية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و [الإسلام والأقليات] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م. و [السماحة الإسلامية] طبعة القاهرة ٢٠٠٦م. و [حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و [الموقف من الديانات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و [الموقف من الحضارات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و [أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر] طبعة القاهرة ٢٠٠٠م. و [فى المسألة القبطية حقائق وأوهام] طبعة القاهرة ٢٠٠١م. و [فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م.